

## الاتجاه المعرفي

### نظرية بياجيه في نمو التفكير الأخلاقي

#### د. حسين عبدالفتاح الغامدي

تأثر بياجيه بكتابات دوركايم عن الأخلاق، والتي يربط فيها بين الأخلاق والسلطة الاجتماعية كمصدر لها. وبالرغم من تقدير بياجيه لهذا الرأي كتفسير للنمو الأخلاقي في المراحل الأولى من حياة الطفل، إلا أنه يعتقد أن الفرد لا يقف عند هذا الحد، بل يتعداه نتيجة لنموه إلى مرحلة الأخلاقية الذاتية المستقلة عن السلطة. ولذا فقد تحدث بياجيه في كتابه الحكم الأخلاقي للطفل (Moral judgment of the child (Piaget, 1932)، عن نمو الأحكام الأخلاقية في إطار نظريته العامة في النمو المعرفي، معتقداً بأن كل الاخلاقيات All morality تعتمد على فهم نظام القواعد (p. 13) معتقداً ان فهم ذلك يفسر مبادئ النمو الاخلاقي. وعلى هذا الأساس حدد بياجيه نمطين (مرحلتين) أساسيين من أنماط التفكير الأخلاقي هما:

1. أخلاقيات التبعية للسلطة والواقعية الاخلاقية Heteronomy and moral realism. يقصد بياجيه بكلمة Heteronomy توجيه القوانين بشخص اخر غير الشخص. كما استخدم مصطلح الواقعية او الحقيقية الاخلاقية Moral realism ليشير الى ان القوانين من وجهة نظر الاطفال حقيقة ومطلقة وانها توجب اتباع الافراد لها. كما اعتبرها اخلاقية الاكراه Morality of Constraint. القوانين يجب ان تتبع حرفياً. كما ان الحكم على الاشياء يتم من خلال النتائج الموضوعية وهو ما يعرفه بياجيه المفهوم الموضوعي للمسئولية Objective conception of personality. ينتشر هذا النمط من التفكير الأخلاقي بين الأطفال بين سن 3 الى 7 وقد يمتد الى سن 10 سنوات تقريبا حيث يرتبط التفكير الاخلاقي بقوانين السلطة الخارجية ولذا تعرف احيانا بالاخلاقية الخارجية External Morality. كما يرى بياجيه ان لدى الطفل في هذه المرحلة احساس بالواقعية الاخلاقية Moral Realism. وكنتيجة لقصور النمو المعرفي وتمركز الطفل حول ذاته، فان الطفل يكون عاجزا عن فهم النسبية الأخلاقية، و اخذ وجهات نظر الآخرين وحاجاتهم في الاعتبار كما يكون عاجزا أيضا عن تمثيل الأدوار أو وضع نفسه في مكان الآخر. هذا العجز يؤدي إلى أحكام أخلاقية مشوهة يمكن إيجاز طبيعتها في: (الفقي، 1983:1932, Piaget).

2. لأخلاقية المستقلة Autonomous Morality والنسبية الاخلاقية Moral relativism: يعني بياجيه بكلمة الاستقلالية Autonomy امكانية استقلال الفرد عن القوانين الخارجية وبمعنى اخر امكانية وضع الافراد لقواعدهم للعب. ذلك ان هذه القواعد غير جامدة وقابلة للتغير طالما اتفقت المجموعة وهذا ما تعني كلمة النسبية الاخلاقية Moral Realism. كما يعتبرها اخلاقية تعاون Morality of Cooperation. وتبدأ المرحلة بين 7 و 8 سنوات وقد تتأخر الى سن 9 أو 10 سنوات، وتقابل - تقريبا - المرحلتين الثالثة والرابعة من مراحل النمو العقلي كما حددها بياجيه. وكنتيجة لهذا النمو تتحسر درجة التمركز حول الذات و يزداد اهتمام الفرد وتقديره لوجهات نظر الآخرين وحاجاتهم. هذا يؤدي إلى فهم جديد للقانون ومفهوم العدل والأخلاق. يتخلص الفرد في هذه المرحلة من الاعتقاد بالاحتمية الخارجية للقانون وقديسيته المطلقة. وعلى العكس من ذلك ينظر إلى

القانون كقواعد مرنة قابلة للتغير وفقا لمدى تحقيقها للعدل وتبعاً للاتفاق بين الافراد. وبمعنى اخر فالاحكام الخلقية نسبية، كما تختلف نظريته للصواب والخطأ، فبدلاً من ربطها بحجم الخطاء ترتبط بنية الفاعل. (1932).  
و عندما يصل الفرد لمرحلة التفكير الشكلي ياخذ تفكيره الاخلاقي وفهمه للقواعد شكلاً اكثر عالمية واكثر تجريداً.  
فالمرهقون في هذه المرحلة قادرين على بناء قواعد او قوانين في اوضاع او حالات لم يخبروها من قبل. كما  
يظهرون اهتماماً بالقواعد من اجل القواعد نفسها حيث يقيمونها كنظام مثير Interesting System

Dr. Hussein A. Al-Ghandi  
Umm Al-Qura University  
Riyadh, Saudi Arabia